تمهيد

تتطلب عملية بناء أداة للقياس في العلوم السلوكية التحكم في جانبين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر وهما التحكم النظري في الخاصية وامتلاك المهارات التقنية الأساسية لبنائها. لتحقيق ذلك تمر عملية البناء بعدة خطوات:

خطوات بناء الرائز

1- تحديد الحاجة لبناء رائز جديد

يجدر بالمختص الذي يريد تصميم رائز ما أن يتأكد من وجود حاجة ملحة لبناء رائز جديد. ذلك عن طريق تفحص المحزون الموجود من الروائز التي تقيس نفس الخاصية وعند نفس الفئة العمرية المستهدفة وكذا الملائمة للبيئة والثقافة التي سيطبق فيها. بالإضافة إلى ذلك، حتى وإن وجد رائز تتحقق فيه هذه المواصفات الأساسية لكن معاييره تقادمت أو حدث تطور مفاهيمي للخاصية مما جعل الرائز المتوفر لا

يصلح لقياسها. خلاصة، إن لم تكن هناك حاجة لرائز جديد، يلتجئ الباحث إلى استخدام أحد أدوات القياس المتوفرة بعد التأكد من استيفائها لشروط القياس، ذلك اقتصادا للجهد والوقت والنفقات.

2- تحديد الهدف من الرائز

تختلف اهداف بناء الروائز وفق نوع ومرجعية هذه الأخيرة. بمعنى، اهداف الاختبارات التحصيلية تختلف عن اهداف الروائز النفسية مثلا. في الأولى، المرجعية واضحة وهي منهاج المادة الدراسية واهدافها تركز على قياس مقدار ما يمتلكه الأفراد من الخاصية المراد قياسها قصد النجاح أو الانتقاء وفق ترتيبهم على الخاصية، أما الثانية فمرجعياتها وأهدافها مختلفة باختلاف المقاربة النظرية للخاصية وكذا من حيث الوظيفة المرجوة من ورائها. قد تكون تشخيص الاضطرابات أو التعرف على السمات أو التنبؤ بالسلوك. كما أن الأهداف تتأثر بمرجعية التفسير محكية أو معيارية. في نفس السياق، قياس قدرة يختلف عن قياس تحصيل أكاديمي أو سمة نفسية أو اتجاه أو ميل أو قيمة.

3- تحديد خصائص الفئة المستهدفة بعملية القياس

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تصميم أدوات القياس في العلوم السلوكية. ذلك لأنه قد تكون هذه الأخيرة قد ألمت بكل جوانب الخاصية المراد قياسها لكن لم تراعي جميع خصائص المفحوصين المستهدفين. تؤثر هذه الخصائص بشكل مباشر على مصداقية الاستجابة وبالتالي موضوعية التفسير.

- يتعلق بعضها **بالفئة العمرية** الذي يتعلق بدوره **بالقدرة العقلية والمستوى التعليمي ومستوى الدافعية**. يختلف الأطفال عن الراشدين في مستوى إدراكهم للمفاهيم الواردة في الرائز وفي قدراتهم القرائية للبنود. كما يحتاج الطفل إلى مزيد من الإثارة لدافعيته للمحافظة على استمرارية استجابته عن طريق اللون والشكل وغيره. في سياق آخر، الراشد غير المتعلم يحتاج صياغة مختلفة لبنود الأداة التي تتناسب مع مستواه القرائي.

♦يتعلق البعض الآخر **بخصوصية الفئة المستهدفة.** تصاغ بنود الرائز الموجه لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة مثل المتخلفين ذهنيا أو المكفوفين أو الصم- البكم، بطريقة تتلاءم مع هذه الخصوصية وتضمن القدرة على الاستجابة. كأن تكون بنود الأداة يجاب عنها أدائيا أو مكتوبة بخط البرايل.

♦تؤثر **العوامل الثقافية** على صياغة البنود. يجب الأخذ بعين الاعتبار اللهجات المختلفة للمجتمعات المستهدفة، كما قد تتعدد داخل المجتمع الواحد. بالإضافة إلى العوامل اللغوية، تراعى الأطر الثقافية كالعادات والتقاليد والمفاهيم السائدة خاصة في الروائز النفسية.

خلاصة، يترتب على هذه العوامل المتعلقة بالفئة المستهدفة بعملية القياس، تحديدا دقيقا لشكل ومحتوى البنود وإجراءات التطبيق وكذا الوقت المخصص للاستجابة.

4- تحديد الخاصية المراد قياسها تحديدا دقيقا:

تقيس الروائز في العلوم السلوكية عدة خصائص. قد تكون خصائص عقلية كالذكاء، الاستعدات والقدرات الخاصة، كما قد تكون سمات للشخصية كالعدوانية، الانطوائية، العصابية أو التوافق النفسي. يضاف إلى ذلك قياس الاتجاهات والميول والقيم.

تتطلب عملية تحديد الخاصية المراد قياسها تحديد الإطار المفاهيمي المتبنى من طرف الباحث. في هذا السياق، التصور الشمولي للذكاء كقدرة عامة يختلف عن تصور الذكاءات المتعددة. كما أن مرجعية النظرية التحليلية الفرويدية في تصورها للاضطراب النفسي يختلف عنه عند النظرية التحليلية المعرفية. نتيجة لذلك، تختلف أدوات القياس باختلاف التصورات النظرية لنفس الخاصية المقاسة. لذا يجب الإلمام بالخلفية النظرية المتبناة. يكون ذلك عن طريق رصد وفهم وتحليل الخاصية إلى جميع الأبعاد المختلفة العناصر المكونة لها حسب الإطار المفاهيمي المتبنى.

5- تحديد المؤشرات السلوكية الدالة على الخاصية:

تستهدف عملية القياس في ميدان علم النفس والتربية، قياس تكوينات فرضية لا يمكن قياسها مباشرة بل يستدل عليها عن طريق الأداء أي الأنماط السلوكية الدالة عليها. تحدد هذه الأخيرة عن طريق تعيين المؤشرات السلوكية للخاصية وترجمتها إلى وقائع سلوكية قابلة للقياس (مهام ومشكلات تقدم للمفحوص لحلها للاستدلال على مدى وجود الخاصية لديه). هذا لا يتأتى إلا من خلال التحديد الإجرائي للخاصية.

مثال:

- الخاصية المقاسة: الذكاء وفق النظرية الشمولية للذكاء كقدرة عامة.
- بعض الأبعاد: التفكير المنطقي، التفكير المجرد، التفكير الهادف، إدراك العلاقات، حل المشكلات، التكيف بفاعلية مع البيئة.....
- بعض الأنماط السلوكية الدالة على بعد التفكير المجرد: إدراك أبعاد المجسمات في بعدها الفضائي (لقياس التفكير المجرد الهندسي)، إدراك الترتيب المنطقي للأحداث في بعدها الزمني (لقياس مفهوم الزمن كمفهوم مجرد)،.....
- المشكلات التي تترجم هذه الأنماط السلوكية: إنجاز مجسم كبير انطلاقا من مكعبات مختلفة الأوجه من حيث اللون، ترتيب صور تحمل مواقف معينة لمجموعة من الأفراد في تسلسل زمني منطقي،...

يستقي المصمم أمثلة عن البنود المراد صياغتها من عدة مصادر منها: الخلفية النظرية للخاصية (نظريات، بحوث نظرية وميدانية في تفسير الخاصية وعملية قياسها)، مخزون الاختبارات المتوفرة التي تقيس نفس الخاصية أو لها علاقة بها (اختبارات الذكاء أو الاستعدادات....)، تحليل المناهج الدراسية (رائز تحصيلي)، تحليل العمل أو المهنة (اختبار توجيه مهني) أو تقارير متخصصة على مرضى سابقين وملخص للمقابلات العيادية معهم وتقارير استجاباتهم على الروائز المماثلة (الروائز النفسية).

تعتبر هذه المرحلة من أصعب المراحل لأنها تتطلب خبرة وتمرسا من طرف المصمم من حيث الإلمام النظري بالخاصية بالإضافة إلى التحكم التقني في ترجمة المؤشرات إلى سلوكات قابلة للقياس مع استحضار خصائص المفحوصين لتتلاءم المهام معهم.